

كلمة رئيس الجامعة في

حفل تخريج الفوج السابع والثلاثين

18 أيار 2012

سعادة ممثل الرئيس محمود عباس راعي الحفل،

السادة رئيس وأعضاء مجلس الأمناء المحترمون،

أصحاب السعادة ممثلو الهيئات الرسمية المحترمون،

السيدات والسادة أهالي الخريجين،

الزملاء والزميلات أعضاء المجالس في الجامعة وهيئتها التدريسية،

الخريجون الأعزاء،

أيها الحفل الكريم،

يسعدني أن أرحب بكم في رحاب جامعة بيرزيت في هذا اليوم السعيد

المشهود.

كدأب الفتيات والفتيان، ربما تظن خريجاتنا ويظن خريجونا بعمرهم الذي

يزيد عن العشرين قليلا أن السنوات قد مرت بطيئة متناقلة. أما في نظر

أمهاتهم وآبائهم وأهلهم فقد مضت السنون بلمح البصر، رغم كل الجهد والعناء، حتى كأن يوم الولادة يبدو وكأنه البارحة، خاصة بالنظر على السعادة الغامرة التي يشعرون بها اليوم. فإذا كان هذا اليوم هو حقا يوم الخريجات والخريجين، فإن من الصحيح أيضا أنه لا أسعد اليوم من الخريجات والخريجين غير أمهاتهم وآبائهم وأهلهم، فلهؤلاء أيضا كل الاحترام والتقدير، ودعونا نمنحهم جولة تصفيق حار طويلة امتنانا وعرفانا.

أيها الحفل الكريم،

أستميحكم عذرا إن أنا وجهت باقي خطابي إلى الخريجات والخريجين.

عزيزاتي الخريجات، أعزائي الخريجين،

بدءاً، أهنيئكم وأهنأ أهلكم وأحباءكم وأصدقاءكم بكم. ها أنتم تقطفون اليوم ثمار سنوات من العمل الجاد على مقاعد الدراسة، فهنيئاً لكم ما صنعت أيديكم وطوبى لكم.

يتوقع من خطيب حفل التخرج أن يتحدث عن النجاح وعوامله ويحث عليه. وسأفعل. لكنني اليوم أريد أن أفرد حيزاً كبيراً أتحدث فيه عن الحب. عن ماذا؟ ستقولون: ما الذي دها هذا الرجل؟ مهلاً، إن أعطيتموني فرصة ستجدون أن الأمر ليس بهذه الغرابة. أحدثكم أولاً عن النجاح. لا شك لدي

أن المعارف التي اكتسبتموها والخبرات التي راكمتموها خلال دراستكم في أفضل جامعات الوطن، جامعة بيرزيت، تؤهلکم للنجاح في حياتكم المقبلة. بالطبع لن يكون النجاح سهلاً، فشروطه اللازمة هي المثابرة والانفتاح على الثقافات والأفكار والتفكير العقلي غير الرغائبي والمنحى النقدي غير الهَيّاب ومَلَكة الخلق والإبداع والقدرة على التعلم مدى الحياة. لكنني على يقين من أن جامعة بيرزيت قد زودتكم بكل هذه الشروط. وهناك في الواقع الموضوعي ما يسند يقيني. فأينما وجّه المرء نظره وجد خريجي بيرزيت يتبوؤون مناصب قيادية في التعليم والسياسة والاقتصاد والمجتمع المدني، حتى لأخال أنه يحق لنا أن نقول بثقة كاملة أن جامعتنا مدرسة للقيادة بامتياز. وليس من قبيل الصدفة أن أكثر من ثلث وزراء حكومتنا العتيدة الجديدة أعضاء في عائلة جامعة بيرزيت الممتدة، من الدكتور نبيل قسيس وزير المالية ورئيس جامعتنا السابق، إلى الدكتور علي الجرباوي وزير التعليم العالي عميد كلية الحقوق والإدارة العامة الأسبق إلى الدكتور سعيد أبو علي وزير الداخلية والدكتور يوسف أبو صفية وزير البيئة والدكتور علي مهنا وزير العدل والأستاذة رولا معاينة وزيرة السياحة والأستاذ عيسى قراقع وزير شؤون الأسرى.

نعم جامعة بيرزيت مدرسة للقيادة بامتياز. وكلّي ثقة من أنكم ستسيرون على الدرب نفسه الذي اختطّه خريجونا من قبلكم وأنكم ستواصلون لعب

أدوار قيادية في خدمة الوطن والناس وأنكم ستكثرون كما الذين من قبلكم
مَضْرِبَ مثل في النزاهة والتجرد، وأنكم أيضا ستظلون كما كان من سبقوكم
أوفياء لجامعتكم الأم حريصون على التواصل معها ودعمها فرفعتكم من
رفعتهَا وعزكم من عزها وهي في خدمتكم أنى أخذتكم دروب الحياة.

ها قد حدثتكم عن النجاح، والآن أريد أن أحدثكم عن الحب. سبق لي أن
قلت في مناسبات عدة أننا بالمعايير الكونية نعيش عصرا سعيدا بفضل تقدم
العلوم والتكنولوجيا، ذلك التقدم الذي يوفر لنا إمكانات هائلة للاستمتاع
بالمعرفة وبثمارها. ومن بين العلوم التي حققت تقدما مذهلا خلال العقود
الثلاثة الماضية علم الإدراك Cognitive Science. لست بهذا الموضوع
خبيرا، لكنني اطلعت على بعض ما يذهل من النتائج التي توصل لها. يعلم
بعضكم، إن لم يكن كلكم أن مخ الإنسان يحتوي على مائة مليار نيورون
(أو عصبون) وأن كلا منها يتصل بما بين ألف وعشرة آلاف اتصال مع
النيورونات الأخرى، وعلى هذا احتسب البعض أنه إذا أخذنا بالاعتبار كافة
التباديل والتوافيق فإن عدد توصلات نشاط المخ يفوق عدد الجزيئات
الأولية في الكون كله. ما يهمني هنا هو أنه اكتشف حديثا نسبيا نوع من
النيورونات (العصبونات) يسمى نيورونات المرأة الذي يطلق عندما يرى
المرء شخصا آخر يقوم بعمل ما أو يشعر شعورا متجليا بشعور ما كما لو
أن المرء نفسه هو الذي يقوم بالعمل أو يشعر بهذا الشعور. بعبارة أخرى،

تجعل هذه النيورونات المرء يضع نفسه مكان الآخر. ومن هنا أطلق عليها نيورونات empathy. وكلمة empathy التي تصعب ترجمتها تعني في آن معا التشاعر، أي الشعور بمشاعر الآخرين، والمشاركة الوجدانية والتعاطف ومن الواضح أنها أساس الحب. يقودنا ذلك إلى أننا كبشر مجبولون بطبيعتنا البيولوجية على الحب والتعاطف والشعور مع الآخرين. من جهة أخرى، يذهب بعض علماء الإدراك إلى أن نيورونات التعاطف والتشاعر هذه هي التي صاغت وقولبت الحضارة والمدنية، أي أن الحضارة والمدنية بل والاجتماع الإنساني مبنية كلها على الحب والتعاطف. رسالتي، إذا، هي أنكم يا خريجينا الأعزاء مدعوون في كل ما تفعلون إلى تبني الحب والتعاطف وخاصة مع من هم أقل حظا منكم. والواقع أن هذا ذلك هو بالضبط ما قصده شاعرنا العظيم بل وشاعر الإنسانية جمعاء محمود درويش عندما قال:

فكر بغيرك

وأنت تخوض حروبك، فكر بغيرك،

لا تنسى من يطلبون السلام

وأنت تسدد فاتورة الماء، فكر بغيرك

من يرضعون الغمام

وأنت تعود إلى البيت، بيتك، فكر بغيرك

لا تنسى شعب الخيام

وأنت تنام وتحصي الكواكب، فكر بغيرك

ثمة من لم يجد حيزا للمنام

وأنت تحرر نفسك بالاستعارات، فكر بغيرك

من فقدوا حقهم في الكلام.

سيداتى وسادتى،

ربما لاحظ بعضكم عندما تفحص كتيب التخريج أن عدد خريجاتنا هذا العام يبلغ 1267 وأن عدد خريجينا يبلغ 738، أي أن عدد خريجاتنا يبلغ تقريبا ضعف عدد خريجينا. وإننا بذلك لفخورون أيما فخر، دعوني أوجه خطابي إذا لخريجاتنا العزيزات خاصة.

قيل ذات مرة أنك إن علّمت شابا فإنك تكون قد علمت شخصا، أما إذا علمت فتاة فإنك تكون قد علمت أجيالا. وذلك لا شك لا مرأى فيه، غير أنه يشدد على دور واحد هو دور تربية الأطفال. وهو دور أيضا لا مرأى في أهميته وطوبى لمن اختارته دورا رئيسيا لها. لكنني أود أن أقول لكُنّ إن العالم كله ملكن فتقدمن لتأخذنه عنوة بالعمل المثابر الدائب الطموح. لكن

أن تكنّ عالّمات ومهندسات وطبّيات وأكاديميات وسياسيات وصاحبات أعمال واقتصاديات، باختصار لكنّ أن تكنّ ما يطيب لكنّ. وينبغي في عرفي أن لا تكتفين بأن يكون لكنّ مكانلّ إلى الطاولة بل أيضا أن يكون لكنّ وفي أحيان كثيرة مكان على رأس الطاولة.

عزيزاتي الخريجات وأعزائي الخريجين،

أنتم أمل المستقبل: فلتحققوا هذا الأمل بالوعي العصري المتدين الراض للظلامية والجهل والتجهيل والخرافة والتدليس والدغماتية والغوغائية والتعصب والانفلات.

أتمنى لكن ولكم مستقبلا باهرا في وطن حر سعيد.

وشكرا.